باب الحمامة المُطَوَّقة

قال دَبْشَلِيمُ الملِكُ لبَيْدَبَا الفيلَسوفِ: قدْ سَمِعْتُ مَثَلَ المُتحابَّيْنِ كيْفَ قَطَعَ بينهما الكَذُوبُ وإلى ماذا صارَ عاقبةُ أمرِهِ منْ بعْدِ ذلكَ، فحدِّثْني إنْ رأيتَ عنْ إخوانِ الصَّفاءِ كيفَ يَبتدِئُ تَواصُلُهم ويَستمتِعُ بعضُهمْ ببعْضٍ، قال الفَيْلَسوفُ: إنَّ العاقلَ لا يَعْدِلُ بالإخوانِ شيئاً، فالإخوانُ همُ الأعوانُ على الخيرِ كلِّهِ والمؤَاسُونَ عندَ ما يَنوبُ[1] منَ المكرُوهِ، ومنْ أمثِالِ ذلكَ مَثَلُ الحَمامةِ المُطَوَّقَةِ والجُرَذِ والظبْيِ والغُرابِ، قالَ المَلِكُ: وكَيفَ كانَ ذلكَ؟

قال بيْدَبا: زَعمُوا أنهُ كانَ بأرْضِ سَكَاوَندَجِين عندَ مدينةِ دَاهَرَ مكانٌ كَثيرُ الصَّيْدِ يَنْتابُه[2] الصَّيادُونَ، وكانَ في ذلكَ المكانِ شجرَةٌ كثيرةُ الأغصانِ مُلْتَفَّةُ الورَقِ فيها وَكْرُ غُرَابٍ، فبينما هوَ ذاتَ يوْمٍ ساقِطٌ في وَكْرِهِ إذْ بَصُرَ بصَيَّادٍ قبيحِ المَنْظَر، سيِّىءِ الخَلْقِ على عاتِقِهِ[3] شَبَكَةٌ وفي يدِه عَصاً مُقْبِلاً نحوَ الشجَرَةِ فذُعِرَ منْهُ الغُرابُ وقالَ: لقدْ ساقَ هذا الرَّجُلَ إلى هذا المَكانِ إمَّا حَيْنِي[4] وإما حَيْنُ غيري فَلأَثْبُتَنَّ مَكاني حتى أنْظُرَ ماذا يَصْنَعُ، ثمَّ إنَّ الصَّيادَ نَصَبَ شَبكَتَهُ ونشَرَ عليها الحَبَّ وكَمَنَ قَريباً منها فلم يَلبَثْ إلاْ قليلاً حتى مَرَّتْ بهِ حمامةٌ يقالُ لها المُطوَّقةُ وكانتْ سيدةَ الحَمامِ ومعَها حَمامٌ كثيرٌ

---

(١) ينوب: يصيب.

(٢) ينتابه: ينزل به ويقصده.

(٣) العاتق: ما بين المنكب والعنق.

(٤) الحَيْن: الهلاك.

فَعمِيَتْ هيَ وصاحباتُها عن الشَّرَكِ فوَقَعْنَ في الحَبِّ يَلتَقِطْنَهُ فعَلقْنَ في الشبكة كلُّهُنَّ وأقبَلَ الصَّيادُ فَرِحاً مَسْروراً، فجَعَلتْ كلُّ حمامةٍ تَضْطرِبُ في حِبَالتِها وتَلتمِسُ الخلاصَ لنفْسِها، قالتِ المطوَّقةُ: لا تَخاذَلْنَ[1] في المعالجةِ ولا تكنْ نفْسُ إحداكنَّ أهمَّ إليْها منْ نفْسِ صاحبتِها، ولكنْ نتَعاوَنَّ جميعُنا ونَطيرُ كطائرٍ واحدٍ فيَنْجو بعضُنا ببَعْض، فجَمَعْنَ أنفسَهُنَ ووثَبْنَ وَثْبةً واحدةً فقَلَعَنَ الشبكةَ جميعُهُنَّ بِتَعاوِنهنَّ وعلَوْنَّ بها في الجوِّ، ولم يَقطَعِ الصَّيادُ رَجاءَهُ منهُنَّ وظنَّ أنهنَّ لا يجاوِزْنَ[2] إلا قريباً ويقَعْنَ. فقال الغُرابُ: لأتَّبعُهُنّ وأنظُرُ ما يكونُ منهن فالتفتت المطوَّقةُ فرأتِ الصيَّادَ يَتْبَعُهنَّ فقالتْ للحمام: هذا الصَّيادُ مُجِدٌّ في طَلبِكُنَّ فإنْ نحنُ أخَذْنا في الفضاءِ لم يخْفَ عليْهِ أمرُنا ولم يزَلْ يتْبَعُنا، وإنْ نحنُ توَّجهْنا إلى العُمْرَانِ خَفِيَ عليه أمرُنا وانصرَف، وبمكانِ كذا جُرَذٌ هو لي أخٌ فلوِ انتهيْنا إليهِ قطَع عنَّا هذا الشرَكَ، ففعَلْنَ ذلك وأيِسَ الصيادُ منهنَّ وانصرَفَ، وتبِعَهُنَّ الغُرابُ فلمَّا انتهتِ الحمامةُ المُطوَّقةُ إلى الجُرَذِ أمرَتِ الحمام أنْ يَسْقُطْنَ فوقَعْنَ.

وكان للجرَذِ مائةُ جُحْرٍ للمَخاوِفِ، فنادَتْهُ المطوَّقةُ باسْمِهِ وكان اسْمُهُ زيْرَكَ فأجابَها الجُرَذُ منْ جُحْرِهِ: مَنْ أنتِ؟ قالتْ: أنا خليلتُكَ المطوَّقةُ، فأقبلَ إليها الجُرَذُ يَسْعى فقال لها: ما أوْقعَكِ في هذهِ الوَرْطةِ؟ قالتْ لهُ: ألمْ تَعلَمْ أنهُ ليسَ من الخيرِ والشرِّ شيءٌ إلا وهو مُقدَّرٌ على مَنْ تُصِيبُه المَقادِيرُ وهي التي أوقعَتْني في هذه الورْطةِ، فقدْ لا يَمتنِعُ من القَدَرِ منْ هو أقوَى منِّي وأعظَمُ أمراً. وقدْ تَنكشِفُ الشمْسُ والقمرُ إذا قُضِيَ ذلكَ عليهما، ثمّ إنَّ الجُرَذَ أخذَ في قرْضِ العَقْدِ الذي فيهِ المطوَّقةُ فقالتْ لهُ المطوَّقة: ٱبْدَأْ بقَطْعِ عَقْدِ سائرِ الحَمامِ وبعدَ ذلكَ أقبِلْ على عَقْدِي. فأعادَتْ ذلكَ عليهِ مراراً وهو

(١) لا تخاذلن: لا تتركن التعاون.

(٢) لا يجاوزن: يقطعن.

لا يَلتفِتُ إلى قولِها، فلما أكثرَتْ عليْه القوْل وكرَّرَتْ قال لها: لقدْ كَرَّرْتِ القوْلَ عليَّ كأنك ليْسَ لكِ في نفسِكِ حاجةٌ ولا لكِ عليْها شَفَقةٌ ولا تَرْعَيْنَ لها حقًّا. قالتْ: إني أخافُ إنْ أنتَ بدأتَ بقَطْعِ عَقْدِي أنْ تَمَلَّ وتَكْسَلَ عنْ قَطْعِ ما بقيَ، وعرَفْتُ أنَّكَ إنْ بدَأتَ بهنَّ قَبْلي وكُنْتُ أنا الأخيرَةَ لمْ ترْضَ وإنْ أدْرَكَكَ الفتُورُ أنْ أبْقيَ في الشَّرَكِ، قال الجُرذُ: هذا ممَّا يَزيدُ الرَّغبةَ فيكِ والموَدَّةَ لكِ، ثمّ إنَّ الجُرَذَ أخذَ في قَرْضِ الشبَكةِ[١] حتى فرَغَ منها. فانطلَقتِ المطوَّقةُ وحَمامُها معها.

فلمَّا رأى الغُرابُ صُنْعَ الجُرَذِ رَغِبَ في مُصادَقتِهِ فجاءَ وناداهُ باسْمِه فأخْرَجَ الجُرَذُ رَأسَهُ فقالَ لهُ: ما حاجتُكَ؟ قال إني أُريدُ مَصادَقَتَك. قال الجُرَذُ: ليسَ بيني وبينَكَ تواصُلٌ وإنما الْعاقِلُ ينبغي لهُ أنْ يَلْتَمسَ مَا يَجِدُ إليهِ سبيلاً ويَترُكَ التماسَ ما لَيْسَ إليهِ سبيلٌ، فما أنْتَ إلاَّ آكلٌ وأنا طَعامٌ لكَ. قال الغُرَابُ: إنَّ أكلي إيَّاكَ وإن كنتَ لي طعاماً ممَّا لا يُغني عني شيئاً، وإنَّ مؤدَّتَكَ آنَسُ لِي ممَّا ذَكَرْتَ، ولستَ بحقيقٍ إذا جئتُ أطلُبُ مودَّتَكَ أنْ ترُدَّني خائباً، فإنهُ قدْ ظهرَ لي منْ حُسْنِ الخُلُقِ ما رغَّبَني فيكَ، وإنْ لم تكنْ تَلتَمِسُ إظهارَ ذلكَ فإن العاقلَ لاَ يَخْفَى فضلُهُ وإن هوَ أخْفاهُ كالمِسكِ الذي يُكْتَمُ ثم لا يمنعُهُ ذلكَ من النَّشْرِ الطيِّب والأَرَجِ الفائحِ[٢]. ثمَّ قالَ الجُرَذُ: إنَّ أشدَّ العداوةِ عداوةُ الجَوْهَرِ وهيَ عدَاوَتانِ منها ما هوَ مُتكافئٌ كعدَاوةِ الفيلِ والأسدِ، فإنهُ ربُما قتلَ الأسدُ الفيلَ أو الفيلُ الأسدَ، ومنها ما قوَّتُهُ منْ أحدِ الجانِبَيْنِ على الآخَرِ كعداوَةِ مَا بيني وبينَ السِّنَّوْرِ[٣] وبينَكَ وبيني، فإنَّ العداوةَ التي بينَنا لَيْسَتْ تضُرُّكَ وإنما ضَرَرُها عائدٌ عَليَّ، فإنَّ الماءَ لوْ أُطِيلَ إسْخانُهُ لمْ يَمْنَعْهُ ذلكَ منْ إطْفائِهِ النارَ إذا صُبَّ عليْها.

---

(١) قرض: قطع.

(٢) النشر: الرائحة الطيبة، والأرج: توهج ريح الطيب.

(٣) السنور: القط.

وإنما مُصاحِبُ العَدُوِّ ومُصالِحُهُ كَصاحِبِ الحيّةِ يَحْمِلُها في كُمِّهِ، والْعاقِلُ لا يَستأنِسُ إلى العَدُوِّ الأريبِ[١]. قال الغرابُ: قدْ فَهِمْتُ ما تقُولُ وأنْتَ خَلِيق[٢] أنْ تأخُذَ بفضْلِ خَلِيقتِكَ[٣] وتعرِفَ صِدْقَ مَقالِي ولا تُصَعِّبْ عَليَّ الأمْرَ بقوْلِكَ ليسَ إلى التَّوَاصُلِ بيْنَنا سبيلٌ، فإنّ العُقلاءَ الكرَامَ لا يَبْتَغُونَ على معروفٍ جَزاءً، والمودّةُ بينَ الصالحينَ سريعٌ اتصالُها بطيءٌ انْقِطاعُها، ومَثَلُ ذلكَ مَثَلُ الْكُوزِ منَ الذهبِ، بطيءُ الانكسارِ سريعُ الإعادَةِ، هَيِّنُ الإصلاحِ، إنْ أصابَهُ ثَلْمٌ أو كَسْرٌ، والمودَّةُ بينَ الأشرارِ سريعٌ انْقِطاعُها بطيءٌ اتِّصالُها، ومَثَلُ ذلك مَثَلُ الكوزِ منَ الفَخَّارِ سريعُ الانْكِسارِ يَنكسِرُ منْ أدْنى شيءٍ ولا وَصْلَ لهُ أبداً، والكريمُ يَوَدُّ الكريم واللَّئيمُ لا يَوَدُّ أحداً إلاّ عنْ رَغْبةٍ أو رَهْبةٍ، وأنا إلى وُدِّكَ ومعروفِكَ مُحتاجٌ لأنكَ كريمٌ، وأنا مُلازِمٌ لِبابِكَ غيرُ ذائِقٍ طَعاماً حتى تُؤَاخِيَني.

قالَ الْجُرَذُ: قدْ قَبِلْتُ إخاءَكَ فإني لَمْ أردُدْ أحداً عنْ حاجةٍ قط، وإنما بَدَأْتُكَ بما بدأتك بهِ إرادةَ التَّوَثُّقِ لنفسي فإنْ أنْتَ غَدَرْتَ بي لم تُقُلْ إني وَجدْتُ الجُرَذَ سريعَ الانخداعِ. ثمّ خرَجَ منْ جُحْرِهِ فوقَفَ عندَ البابِ. فقال له الغُرابُ: ما يمنَعُكَ من الخروجِ إليَّ والاسْتِئناسِ بي أوَفي نفسكَ بَعدُ مِنِّي ريبةٌ. قال الجُرَذُ: إنّ أهلَ الدُّنيا يتعاطَوْن فيما بينهمْ أمرَيْنِ وَيتواصَلُونَ عليهما وهما ذاتُ النفْسِ وذاتُ اليدِ، فالمُتبادِلُونَ ذاتَ النَّفْسِ همُ الأصفياءُ وأمَّا المُتبادِلُونَ ذاتَ اليَدِ فهُمُ المُتعاوِنونَ الذينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهم الانْتِفاعَ ببعضٍ، ومنْ كانَ يَصْنَعُ المَعْروفَ لبعضِ مَنافعِ الدُّنيا فإنما مَثلُهُ فيما يَبْذَلُ ويُعْطِي كمثَلِ الصَّيادِ وإلقائهِ الحَبَّ للطيرِ لا يُرِيدُ بذلكَ نَفْعَ الطَّيْرِ وإنما يُريدُ نَفْعَ نفْسهِ، فتَعاطِي ذاتِ النفْسِ أفضَلُ منْ تَعاطي ذاتِ اليَدِ، وإني وَثِقْتُ

(١) الأريب: الذكي.

(٢) خليق: جدير.

(٣) خليقتك: سجيتك.

مِنْكَ بذات نفْسِكَ ومنَحْتُكَ منْ نفْسِي مثلَ ذلكَ، وليسَ يمنَعُني من الخروجِ إليكَ سوءُ ظنٍّ بكَ ولكنْ قدْ عَرَفْتُ أنَّ لكَ أصحاباً جوْهرُهُمْ كجَوْهرِكَ وليسَ رأيُهمْ فيَّ كرأيِك. قال الغرابُ: إنَّ منْ علامةِ الصَّدِيقِ أنْ يكونَ لصديق صدِيقه صديقاً ولعدوِّ صدِيقهِ عدُوًّا وليْسَ لي بصاحِبٍ ولا صَدِيقٍ مَنْ لا يكونَ لك مُحبًّا، وإنهُ يَهُونُ عليَّ قَطِيعةُ مَنْ كانَ كذلكَ منْ جوْهري. ثمَّ إنَّ الْجُرَذَ خرَجَ إلى الغُرابْ فتَصافَحا وتَصافَيا وأنِسَ كلٌّ واحدٍ منهما بصاحبهِ حتى إذا مضتَ لهمْ أيامٌ قال الغرابُ للْجرَذِ: إنَّ جُحْرَكَ قريبٌ منْ طريقِ النَّاس وأخافُ أن يَرْمِيَكَ بعضُ الصِّبيانِ بحجَرٍ، ولي مكانٌ في عُزْلةٍ ولِي فيهِ صَدِيقٌ منَ السلاحِفِ وهو مُخْصبٌ من السَّمَكِ ونحنُ واجِدُونَ هُناكَ مَا نأكلُ فأريدُ أنْ أنْطَلِقَ بكَ إلى هُناكَ لِنَعيشَ آمِنينَ. قال الجرَذُ: إنَّ لي أَخْباراً وقِصَصاً سأقُصُّها عليكَ إذا انتهيْنا حيثُ تُريدُ فافعلْ ما تشاءُ، فأخذَ الغُرابُ بِذَنَبِ الجُرذِ وطارَ بهِ حتى بلَغَ حيثُ أرادَ فلمّا دَنا منَ العَيْنِ التي فيها السُّلَحْفاةُ بَصُرَتِ السُّلَحْفاةُ بغرابٍ ومعَهُ جُرذٌ فذُعِرَتْ منْه ولم تَعلم أنهُ صاحبُها، فناداها فخرَجَتْ إليْهِ وسألَتْهُ: منْ أيْنَ أقْبلْتَ؟ فأخبرَها بقِصَّتهِ حينَ تَبِعَ الحَمامَ وما كانَ منْ أمرِهِ وأمْرِ الجُرَذِ حتى انْتهَى إليْها. فلمَّا سَمِعَتِ السُّلَحْفاةُ شأنَ الجُرَذِ عَجِبتْ منْ عقلهِ ووَفائهِ ورَحَّبَتْ بهِ وقالتْ له: ما ساقَكَ إلى هذِه الأرْضِ؟ قال الغرَابُ للجُرَذِ: اقْصُصْ عليَّ الأخْبارَ التي زَعَمْتَ أنَّكَ تُحَدِّثُني بها فأخبِرْني بها معَ جوَابِ ما سألَتِ السُّلَحْفاةُ فإنها عندَكَ بمنزِلَتي. فبَدَأ الجُرَذُ وقال:

«كانَ مَنزِلي أوَّلَ أمْري بمدِينة (مارُوتَ) في بيْتِ رجُلٍ ناسِكٍ وكانَ خالياً منَ الأهلِ والعيالِ، وكان يُؤتي في كلِّ يوْمٍ بِسَلَّةٍ من الطَّعامِ فيأكلُ منها حاجتَهُ ويُعلّقُ الباقي، وكنتُ أرْصُدُ[1] الناسكَ حتى يَخرُجَ وأثِبُ إلى السَّلَّةِ فلا أدَعُ

(١) أرصد: أراقب.

فيها طعاماً إلاَّ أكَلْتُهُ وأرْمِي بهِ إلى الجِرْذَانِ فَجَهِدَ النّاسِكَ مِراراً أنْ يُعلِّقَ السَّلَّةَ في مكانٍ لا أنالُهُ فلمْ يَقْدِرْ على ذلكَ حتى نزَلَ به ذاتَ ليْلةٍ ضيْفٌ فأكَلاَ جميعاً ثمّ أخَذا في الحديثِ فقال الناسكُ للضيْفِ: منْ أيِّ أرْضٍ أقبَلْتَ وأيْنَ تُرِيدُ الآنَ، وكان الرَّجلُ قدْ جابَ الآفاقَ[1] ورأى عجائب كثيرةً فأنْشأ يُحدِّثُ النّاسكَ عمَّا وَطِيءَ منَ البلادِ ورأى منَ العجائبِ وجعَلَ النّاسكُ خِلالَ ذلكَ يُصفِّقُ بيدَيْهِ لِيُنفِّرَني عنِ السَّلةِ فغضِب الضيْفُ وقالَ: أنا أُحدِّثُكَ وأنتَ تَهزَأُ بحَدِيثي فما حَملَكَ على أنْ سألْتَني؟ فاعتذَرَ إليهِ الناسكُ وقال: إنما أُصَفّقُ بيَدِي لأُنَفِّرَ جُرَذاً قدْ تحيَّرْتُ في أمْرِهِ ولَسْتُ أضَعُ في البيْتِ شيئاً إلاَّ وأكلَهُ. فقال الضَّيْفُ: جُرَذٌ واحدٌ يَفْعَلُ ذلك أمْ جرْذان كثيرَةٌ؟ فقالَ الناسكُ: جِرْذَانُ البيْتِ كثيرَة لكنَّ فيها جُرَذاً واحداً هو الذِي غلَبَني فما أسْتطيعُ له حِيلةً. قال الضيْفُ: لقدْ ذكَّرْتَني قوْلَ الذِي قالَ: لأمْرٍ ما باعَتْ هذِه المرْأةُ سِمْسِماً مَقْشُوراً بغيْرِ مَقْشُورٍ. قال النّاسِكُ: وكيفَ كانَ ذلِكَ؟

قال الضَّيْفُ: نَزَلْتُ مرَّةً على رَجُلٍ بمكانِ كذَا فتَعَشَّيْنا ثمَّ فَرشَ لي وانْقلَبَ الرَّجُلُ على فِراشِهِ معَ زوْجتِهِ وبَيني وبيْنَهما خُصٌّ منْ قَصَبٍ فسَمِعْتُ الرَّجُلَ يقولُ في آخرِ اللَّيْلِ لامرأتِه: إني أُريدُ أنْ أدعُو غداً رَهْطاً[2] ليأكلُوا عنْدَنا فاصنَعي لهمْ طعاماً. فقالت المرْأةُ: كيفَ تدْعو الناسَ إلى طَعامِكَ وليْسَ في بيْتِكَ فَضْلٌ عنْ عِيالِكَ وأنتَ رجُلٌ لا تُبْقي شيئاً ولا تَدَّخِرُه. قال الرَّجلُ: لا تَندَمي على شيءٍ أطعَمْناهُ وأنْفقْناهُ فإنّ الجَمعَ والادِّخارَ ربما كانتْ عاقبتُهُ كَعاقبَةِ الذِّئْبِ. قالتِ المرْأة: وكيف كان ذلك؟

قال الرَّجُلُ: زعَمُوا أنهُ خرَجَ ذاتَ يوم رجُلٌ قانِصٌ ومعَهُ قوْسُهُ ونُشَّابُه، فلمْ يُجاوِزْ غيرَ بَعيدٍ حتى رَمَى ظَبياً فحمَلَهُ ورَجَع طالباً مَنزِلَهُ

(١) الآفاق: النواحي المختلفة.

(٢) الرهط: دون العشرة من الرجال.

فاعترَضه خِنزيرٌ بَرِّيٌّ فرَماهُ بنُشَّابَةٍ نَفَذَتْ فيهِ فأدْركَه الخِنزيرُ وضَرَبَه بأنْيابِهِ ضرْبةً أطارَتْ من يدِهِ القَوْسَ ووَقَعا مَيْتَيْنِ، فأتَى عليهم ذِئْبٌ فقال: هذا الرَّجُلُ والظَّبيُ والخِنْزِيرُ يَكْفِينِي أكلُهمْ مدَّةً، ولكِنْ أبْدَأ بهذا الوَتَرِ فآكُلَهُ فيكونُ قُوتَ يَوْمي، فعالَجَ الوتَرَ حتى قطَعَه فلمّا انْقطَع طارَتْ سِيَةُ[١] القَوْسِ فضَرَبَتْ حَلْقَهُ فماتَ.

وإنما ضرَبْتُ لك هذا المَثَلَ لتَعلَمي أنَّ الجَمْعَ والادِّخارَ وَخِيمُ العاقبةِ. فقالتِ المرْأةُ: نِعِمَّا قُلْتَ وعندَنا منَ الأَرُزِّ والسِّمْسِمِ ما يَكفي ستَّةَ نَفَرٍ أو أكثرَ. فأنا غادِيةٌ[٢] على صُنْعِ الطَّعامِ فادْعُ منْ أحبَبْتَ، وأخَذَتْ المرأةُ حينَ أصْبَحتْ سِمْسِماً وقَشَرتْهُ وبَسَطَتْه في الشمسِ لِيَجِفَّ وقالتْ لِغُلامٍ لهمْ: اطْرُدْ عنهُ الطيرَ والْكلابَ، وتَفرَّغَتِ المرْأةُ لِصُنْعِها وتَغَافَلَ الغلامُ عنِ السِّمْسِمِ فجاءَ كلْبٌ فَعاثَ[٣] فيهِ فاستقْذَرَتْه المَرْأةُ وكرِهَتْ أنْ تَصْنَعَ منهُ طَعاماً، فذَهَبَتْ بهِ إلى السُّوق فأخَذَتْ بهِ مُقايِضةً[٤] سمْسِماً غيرَ مَقْشُورٍ مِثْلاً بمِثْلٍ... وأنا واقِفٌ في السُّوقِ. فقال رجُلٌ لآخَرَ: لأَمْرٍ مَا باعتْ هذه المرْأةُ سمْسِماً مَقْشُوراً بغيرِ مقْشُورٍ.

وكذِلكَ قوْلِي في هذا الجُرَذِ الذي ذَكَرْتَ أنهُ على غيرِ عِلَّةٍ مَّا يَقْدِرُ على ما شَكَوْتَ منهُ فالْتَمِسْ لي فأساً لَعلي أحْتَفِرُ جُحْرَهُ فأطَّلِعَ على بَعْضِ شأنِه، فاسْتعارَ النَّاسِكُ منْ بعْضِ جيرانِه فأساً فأتَى بها الضَّيفَ وأنا حينئذٍ في جُحْرٍ غيرِ جُحْرِي أسْمَعُ كلامَهُما وفي جُحْري كيسٌ فيهِ مائةُ دينارٍ لا أدْرِي مَنْ وضَعَها، فاحتَفَرَ الضَّيفُ حتى انتهَى إلى الدَّنانيرِ فأخَذَها للنَّاسكِ: ما كانَ هذا الجُرَذَ يَقْوَى على الوُثوبِ حيْثُ كانَ يَثِبُ إلاَّ بهذِه الدَّنانيرِ فإنَّ

(١) سية القوس: طَرَفُها.
(٢) غادية: مبكرة.
(٣) عاث: أضرَّ وأفسد.
(٤) مقايضة: مبادلة.

المالَ جَعَلَ لهُ قوَّةً وزيادةً في الرَّأي والتَّمكُّن، وسترَى بعدَ هذا أنهُ لا يَقْدِرُ على الوُثُوبِ حيثُ كانَ يثبُ، فلمَّا كان منَ الغدِ اجْتَمعَتِ الجِرْذانُ التي كانتْ معي فقالتْ: قدْ أصابنا الجُوعُ وأنتَ رجاؤُنا فانْطلَقْتُ ومعي الجِرْذانُ إلى المكانِ الذي كنتُ أثِبُ منهُ إلى السَّلَّةِ فحاولْتُ ذلكَ مِراراً فلمْ أقْدرْ عليه فاسْتبان لِلْجِرذانِ نَقْصُ حالي فسمِعتُهنَّ يَقُلْنَ: انصَرِفْنَ عنهُ ولا تَطْمَعْنَ فيما عندهُ فإنّا نرَى له حالاً لا نَحْسَبُه إلاّ قدِ احْتاجَ إلى منْ يَعُولُه[١] فترَكْنَني ولَحِقْنَ بأعدَائي وجفَوْنَني وأخَذْنَ في غِيبَتي عندَ منْ يُعادِيني ويَحْسُدني.

فقلْتُ في نفسِي: ما الإخوانُ ولا الأَعوَانُ ولا الأَصدِقاءُ إلاَّ بالمالِ، ووَجَدْتُ منْ لا مالَ لهُ إذا أرادَ أمراً قَعَدَ بهِ العُدْمُ[٢] عمَّا يُريدُه، كالماءِ الذي يَبْقَى في الأوْدِيةِ منْ مطَرِ الشِّتاءِ لا يَمُرُّ إلى نَهَرٍ ولا يَجْرِي إلى مكانٍ فتَشْرَبُه أرْضُه، ووجَدْتُ منْ لا إخْوانَ لهُ لا أهْلَ لهُ، ومنْ لا وَلَدَ لهُ لا ذِكْرَ لهُ، ومنْ لا مالَ لهُ لا عَقْلَ لهُ ولا دُنْيا ولا آخرَة لهُ لأنَّ الرَّجُلَ إذا افتَقَرَ قطَعه أقارِبُه وإخْوانُه، فإنّ الشجرَةَ النّابتةَ في السِّباخِ[٣] المأكُولةَ منْ كلِّ جانِبٍ كَحالِ الفقيرِ المُحْتاجِ إلى ما فِي أيدِي النَّاسِ.

ووَجَدْتُ الفَقْرَ رَأسَ كلِّ بلاَءٍ وجالِباً إلى صاحبِهِ كلَّ مَقْتٍ ومَعْدِنَ النَّمِيمَةِ، ووَجَدْتُ الرَّجلَ إذا افتَقَرَ اتَّهَمَهُ مَنْ كان لهُ مؤْتَمِناً وأساءَ بهِ الظَّنَّ مَنْ كانَ يَظُنّ بهِ حَسَناً، فإنْ أذْنَبَ غيرُهُ كانَ هوَ للتُّهْمَةِ موْضِعاً، وليْسَ منْ خَلَّة[٤] هيَ لِلْغنيِّ مَدْحٌ إلاّ وهيَ لِلْفقيرِ ذَمٌّ، فإنْ كانَ شُجاعاً قِيلَ أهْوَجُ وإن كان جَوَاداً[٥] سُمِّيَ مُبذِّراً، وإن كانَ حليماً سُمِّيَ ضَعيفاً، وإنْ كانَ وَقوراً سُمِّيَ بليداً، فالموْتُ أهْوَنُ منَ الحاجةِ التي تُحْوِجُ صاحِبَها إلى المَسألةِ ولا

(١) يعوله: يعيشه.
(٢) العُدْمُ: الفقر والفاقة.
(٣) السباخ مفردها سبخة. وهي الأرض ذات الملح والنز.
(٤) خلة: خصلة.
(٥) الجواد: الكريم.

سيَّما مَسألةُ الأشِحَّاءِ[١] واللّئام فإنَّ الكَريمَ لوْ كُلِّفَ أنْ يُدْخِلَ يدَهُ في فَمِ الأَفْعَى فيُخْرجَ منْهُ سُمًّا فيَبْتلِعَهُ كانَ ذلكَ أهْوَن عليهِ وأحَبَّ إِليْهِ منْ مَسألةِ الْبخيلِ اللَّئيمِ.

وقدْ كنْتُ رأيْتُ الضَّيفَ حينَ أخذَ الدَّنانيرَ فَقاسَمَها النَّاسِكَ فجعَلَ النَّاسِكُ نَصِيبَهُ في خَرِيطةِ[٢] عندَ رَأسهِ لمّا جَنَّ اللَّيْلُ، فطَمِعْتُ أنْ أصِيبَ منها شيئاً فأرُدَّهُ إِلى جُحْرِي ورجَوْتُ أنْ يَزِيدَ ذلكَ في قوَّتي ويُراجِعَني بسببه بعْضُ أصْدِقائي فانْطَلَقْتُ إِلى النَّاسكِ وهوَ نائمٌ حتى انتهَيْتُ عنْدَ رَأسِه فوجدْتُ الضَّيفَ يَقْظانَ وبِيَدِهِ قضِيبٌ فضَرَبني على رأسِي ضَرْبَةً مُوجِعةً فسَعَيْتُ إِلى جُحْرِي فلمَّا سكَنَ عنِّي الأَلمُ، هَيَّجَني الحِرْصُ والشَّرَهُ فخرَجْتُ طمَعاً كطَمَعي الأوَّلِ وإِذا الضَّيْفُ يَرْصُدُني فضرَبني بالقَضِيبِ ضرْبةً أسالَتْ مني الدَّمَ فتَقلَّبْتُ ظهْراً لِبَطْنٍ إِلى جُحرِي فخَرَرْت مَغْشِيًّا عليَّ فأصابني منَ الوجَعِ ما بَغَّضَ إِليَّ المالَ حتى لا أسْمَعُ بذِكْرِه إِلاّ تَدَاخَلَني منْ ذِكْرِهِ رِعْدَةٌ وَهَيْبةٌ، ثمَّ تَذَكَّرْتُ فوَجَدْت البَلاءَ في الدُّنْيا إِنما يَسوقُه الحِرْصُ والشَّرَهُ ولا يزالُ صاحِبُ الدُّنْيا في بلِيَةٍ وتعبٍ ونَصَبٍ، ووَجَدْتُ تجَشُّمَ[٣] الأسْفارِ البعيدَةِ في طلَبِ الدُّنْيا أهْوَنَ عليَّ منْ بَسْطِ اليدِ إِلى السَّخيِّ بالمالِ، ولمْ أرَ كالرضَا شيئاً.

ووَجَدْتُ العلماءَ قدْ قالوا لا عقْلَ كالتَّدْبيرِ ولا وَرَع ككَفِّ الأَذَى ولا حَسَبَ[٤] كحُسْنِ الخلُقِ ولا غِنَى كالرِّضَا، وأحَقُّ ما صَبَّرَ الإِنْسانَ على الشيءِ نفْسُهُ، وأفْضَلُ البِرِّ الرَّحمةُ، ورأسُ المودَّة الاسترْسالُ[٥] ورأسُ العقْلِ

(١) الأشحاء مفردها شحيح: وهو البخيل.
(٢) الخريطة: كيس من جلد وغيره.
(٣) التجشم: تحمل المشاق.
(٤) الحَسَبُ: الشرف.
(٥) الاسترسال: أي الثقة بالصديق والاطمئنان إليه.

معرفةُ ما يكونُ مما لا يكونُ، وقالوا: الخَرَسُ خيرٌ منَ اللِّسانِ الكَذُوبِ، والضُّرُّ[١] والفقْرُ خيرٌ من النِّعْمةِ والسَّعةِ منْ أموالِ النَّاسِ، فصارَ أمْرِي إلى أنْ رَضِيتُ وقَنِعْتُ وانْتقَلْتُ منْ بيْتِ النَّاسكِ إلى البرِّيّةِ، وكانَ لي صديقٌ من الحَمامِ فَسِيقَتْ إليَّ بصَداقَتِهِ صدَاقةُ الغُرابِ والتفت إلى السُّلَحْفاة فقال: ثمَّ ذكَرَ لي الغُرابُ ما بيْنَكِ وبيْنهُ من المودَّةِ وأخبَرني أنهُ يُريدُ إتْيانَكِ فأحْببتُ أنْ آتِيَكِ معهُ وكَرِهتُ الوَحْدَةَ فإنهُ لا شيءَ منْ سرُورِ الدُّنْيا يَعْدِلُ صُحْبةَ الإخْوانِ ولا غَمَّ فيها يَعْدِلُ البُعْدَ عنهمْ، وجَرَّبْتُ فعَلِمتُ أنه لا يَنْبغي للْعاقلِ أنْ يَلْتَمِسَ من الدُّنْيا غيرَ الكَفافِ الذي يَدْفَعُ به الأذَى عنْ نفْسهِ وهو الْيسيرُ منَ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ إذا أُعِينَ بصِحَّةٍ وسَعَةٍ، ولوْ أنَّ رجُلاً وُهِبتْ لهُ الدُّنْيا بما فيها لَمْ يكنْ يَنْتفعُ منْ ذلكَ إلاَّ بالْقليلِ الذي يَدْفَعُ به عنْ نفْسهِ الحاجةَ فأقبلْتُ معَ الغُرابِ إلَيْكِ على هذا الرَّأيِ وأنا لَكِ أخٌ فلْتكُنْ منزِلَتي عنْدَكِ كذلكَ.

فلمَّا فرَغَ الجُرَذُ منْ كلامهِ أجابَتْهُ السُّلَحْفاةُ بِكلامٍ رقيقٍ وقالتْ: قدْ سَمِعتُ كلاَمَكَ وما أحْسَنَ ما تكلَّمتَ به، إلاّ أني رأيْتُكَ تَذْكرُ بَقايا أُمورٍ هيَ في نَفْسِكَ منْ حيْثُ قِلَّةِ مالكَ وسُوءِ حالكَ واغترابِكَ عنْ مَوْطِنكَ، فاطْرحْ ذلكَ عنْ قلْبِكَ واعلَمْ أنَّ حُسْنَ الكلامِ لا يَتِمُّ إلاّ بحُسْنِ العمَلِ، وأنَّ المريضَ الّذِي قدْ عَلِمَ دواءَ مرَضِه إنْ لَمْ يَتَدَاوَ به لَمْ يُغْنِ علْمُه به شيئاً ولَمْ يَجِدْ لدَائه راحةً ولا خِفّةً، فاسْتَعْمِلْ رأيَكَ ولا تَحْزَنْ لقلةِ المالِ فإنّ الرَّجُلَ ذا المُرُوءةِ قدْ يُكْرَمُ على غيرِ مالٍ كالأسدِ الذي يُهابُ وإنْ كانَ رابِضاً[٢]، والغنيُّ الذي لا مُرُوءَةَ لهُ يُهانُ وإنْ كانَ كثيرَ المالِ كالكلبُ لا يحْفَلُ به[٣] وإنْ طُوِّقَ وخُلْخِلَ بالذّهَبِ، فلا تَكْبُرَنَّ عليْكَ غُرْبَتُكَ فإنَّ الْعاقِلَ لا غُرْبةَ لهُ

(١) الضُّرُّ بالضم: الفقر.
(٢) رابضاً: آوياً في مأواه.
(٣) لا يحفل به: أي لا يبالي به.

كالأسدِ الذي لا يَنْقِلبُ[١] إلاّ معَه قوَّتُه فلْتُحْسِنْ تعهُّدَكَ لنفْسِكَ فإنّكَ إذا فعَلْتَ ذلكَ جاءَ الخيْرُ يَطْلُبُكَ كما يَطْلُبُ الماءُ انحدارَهُ، وإنما جُعِلَ الفضْلُ لِلْحازمِ الْبصيرِ، وأما الكَسْلانُ المتردِّدُ فإنَّ الفضْلَ لا يَصْحَبُه كما أنّ المرْأةَ الشابَّةَ لا يَطِيبُ لها صُحْبةُ الشّيْخِ الهرِمِ وقدْ قيلَ في أشْياءَ ليْسَ لها ثَباتٌ ولا بَقاءٌ: ظلَّ الغَمامةِ في الصَّيْفِ وخِلَّةِ[٢] الأَشْرارِ والْبِناءِ على غيرِ أساسٍ، والنّبإِ الكاذِبِ، والمالِ الكثيرِ، فالْعاقلُ لا يَحْزَنُ لقلَّتِهِ ولكنَّ مالَهُ عقلُه وما قَدَّمَ منْ صالحِ عملِهِ، فهو واثِقٌ بأنهُ لا يُسْلَبُ ما عَمِلَ ولا يُؤاخَذُ بشيءٍ لمْ يَعْمَلْهُ، وهو خَلِيقٌ ألاَّ يَغْفُلَ عنْ أمرِ آخرتِه فإنّ الموْتَ لا يأتِي إلاّ بغْتةً ليس لهُ وقْتٌ معيَّنٌ، وأنتَ عنْ موْعِظتي غنيٌّ بما عندَكَ منَ العلمِ، ولكنْ رأيْتُ أنْ أقضِيَ منْ حقِّكَ فأنتَ أخُونا وما قِبَلَنا[٣] مبْذُولٌ لكَ.

فلمَّا سَمِعَ الغُرابُ كلامَ السُّلَحْفاةِ للجُرَذِ وردَّها عليهِ وإلْطافَها إيّاهُ فرِحَ بذِلكَ وقالَ: لقدْ سَرَرْتِني وأنْعَمْتِ عليَّ وأنتِ جَدِيرةٌ أن تَسُرِّي نفْسَك بمِثْلِ ما سَرَرْتِني به، وإنَّ أوْلَى أهلِ الدنْيا بشدَّة السُّرورِ مَنْ لا يَزالُ رَبْعُه[٤] منْ إخْوانِه وأصْدِقائهِ منَ الصَّالحينَ مَعْمُوراً، ولا يَزالُ عنْدَه منهمْ جماعةٌ يَسُرُّهمْ ويَسُرُّونَه ويكونُ منْ وراءِ أُمورِهمْ وحاجاتِهمْ بالمِرْصادِ فإنَّ الكريمَ إذا عثرَ لاَ يَأخذُ بيدِهِ إلاّ الكرامُ كالفيلِ إذا وَحِلَ لا تُخْرِجهُ إلاّ الْفِيَلَةُ، فبينما الغرابُ في كلامهِ والثّلاثةُ مُستأنِسُونَ بعْضُهمْ ببعْضٍ إذْ أقبَلَ نحوَهُمْ ظبيٌ يَسْعَى فذُعِرَتْ منهُ السُّلَحْفاةُ فغاصَتْ في الماءِ ودَخلَ الجُرَذُ إلى جُحْرِه وطارَ الغُرَابُ فوقَعَ على شجرةٍ، ثمَّ إنَّ الغرَابَ حَلَّقَ في السَّماءِ لِيَنْظُرَ هلْ لِلظبيِ طالِبٌ، فنَظَرَ فلمْ يَرَ شيئاً فنادَى الجُرَذَ والسُّلَحْفاةَ فخرَجا، فقالتِ السُّلَحْفاةُ

(١) ينقلب: يبدل مكانه.
(٢) الخِلَّة: المصادقة والإخاء.
(٣) قِبَلَنا: لدينا وعندنا.
(٤) ربعه: مسكنه.

لِلظبيِ حينَ رأتْهُ يَنْظُرُ إلى الماءِ: ٱشْرَب إنْ كانَ بكَ عَطَشٌ ولا تَخَفْ فإنهُ لا خَوْفَ عليكَ. فدَنا الظبيُ فرَحَّبَتْ بهِ وحيَّتْهُ وقالتْ لهُ: منْ أيْنَ أقبلْتَ؟ قال: كنتُ بهذهِ الصحارَى راتِعاً[١] فلمْ تَزَلِ الأَساوِرَةُ[٢] تَطْرُدُني منْ مكانٍ إلى مكانٍ حتى رأيْتُ اليوْمَ شَبَحاً فَخِفْتُ أنْ يكونَ قانِصاً. قالتْ: لا تخَفْ فإنّا لمْ نَرَ هٰهُنا قانِصاً قطُّ ونحنُ نَبْذُلُ لكَ وُدَّنا ومكانَنا، والماءُ والمَرْعَى كثيرٌ عندَنا فارْغَبْ في صُحْبتِنا. فأقامَ الظبيُ معَهمْ وكانَ لهمْ عَرِيشٌ[٣] يَجْتَمِعونَ فيهِ ويَتذاكَرُونَ الأحادِيثَ والأخْبارَ.

فبينما الغرَابُ والجُرَذُ والسُّلَحْفاةُ ذاتَ يوْمٍ في العرِيشِ إذْ غابَ الظَّبيُ فتوقَّعُوهُ[٤] ساعةً فلمْ يأتِ فلمَّا أبْطأ أشْفَقُوا أنْ يكونَ قدْ أصابَهُ عَنَتٌ[٥] فقالَ الجُرَذُ والسُّلَحْفاةُ للغُرابِ: هلْ تَرَى ممَّا يَلِينا شيئاً؟ فَحلَّقَ الغُرابُ في السَّماءِ فنَظَرَ فإذا الظبْيُ في الحبائلِ مُقْتَنَصاً، فانْقَضَّ مُسْرِعاً فأخبرَهُما بذِلكَ. فقالتِ السُّلَحْفاةُ والغرَابُ للْجُرَذِ: هذا أمْرٌ لا يُرْجَى فيهِ غيرُكَ فأغِثْ أخاكَ. فسَعَى الجُرَذُ مُسرِعاً فأتَى الظبيَ. فقالَ لهُ: كيْفَ وقَعْتَ في هذهِ الوَرْطةِ وأنْتَ منَ الأَكْياسِ[٦]. قالَ الظبيُ: هَلْ يُغْنى الكَيْسُ معَ المَقادِيرِ شيئاً؟.

فبينما هما في الحديثِ إذْ وافَتْهُما السُّلَحْفاةُ فقالَ لها الظَّبيُ: ما أصَبْتِ بمجِيئكِ إليْنا فإنّ الْقانِصَ لوِ انْتهَى إليْنا وقدْ قطَعَ الجرَذُ الحَبائِلَ سبَقْتُهُ عَدْواً ولِلْجُرذِ أجحارٌ كثيرَةٌ والْغرابُ يَطيرُ وأنْتَ ثِقِيلةٌ لاَ سَعْيَ لَكِ ولا حرَكةَ وأخافُ عليْكِ الْقانِصَ. قالتْ: لا عَيْشَ معَ فرَاقِ الأحبَّةِ، وإذا فارَقَ

(١) راتعاً: آكلاً وشارباً في أرضٍ واسعة.
(٢) الأساورة ج أسوار بالضم والكسر: الرجل الجيد الرمي بالسهام.
(٣) العريش: ما يستظل به.
(٤) توقعوه: انتظروه.
(٥) العنت: المكروه والشدة.
(٦) الأكياس ج كيس: الفَطِنُ.

الأليفُ أليفَهُ، فقدْ سُلِبَ فؤادَه وحُرِمَ سرُورَهُ وغُشِيَ على بصَرِه، فلمْ يَنتَهِ كلامُها حتى وَافَى الْقانصُ ووافقَ ذلكَ فراغَ الجرَذِ منْ قَطْعِ الشَّرَكِ. فنجا الظبْيُ بِنَفْسهِ وطار الغرابُ محلِّقاً ودَخَلَ الجُرَذُ بعضَ الأجحارِ ولم يَبْقَ غيرُ السُّلَحْفاةِ ودَنا الصّيَّادُ فوَجَدَ حِبالتَهُ مُقطَّعةً فنَظَرَ يمِيناً وشِمالاً فلمْ يَجِدْ غيرَ السُّلَحْفاةِ تدِبُّ فأخذَها وربَطَها فلمْ يَلْبَثِ الغرابُ والجرَذُ والظبيُ أنِ اجْتمَعوا فنظَرُوا الْقانِصَ قدْ رَبَطَ السُّلَحْفاةَ فاشْتدَّ حُزْنُهمْ وقال الجُرَذُ: ما أُرانا نجاوِزُ عقَبةً[١] منَ البَلاءِ إلاّ صِرْنا في أشدّ منها. ولقدْ صدَقَ الذي قالَ لا يَزالُ الإنْسانُ مُسْتمِرًّا في إقْبالهِ ما لمْ يَعْثُرْ فإذا عَثَرَ لَجَّ به[٢] الْعِثارُ وإنْ مشَى في جَدَدٍ[٣] الأرْضِ. وحذري على السُّلَحْفاةِ خَيرِ الأَصْدقاءِ التي خِلْتُها ليْسَتْ للمجَازاةِ ولا لاِلْتِماسِ مكافأةٍ ولكنَّها خِلَّةُ الكَرمِ والشَّرَفِ، خِلّةٌ هيَ أفضَلُ منْ خِلةِ الوَالدِ لوَلَدِهِ، خِلَّةٌ لا يُزِيلُها إلاَّ الموْتُ، وَيْحٌ[٤] لهذا الجَسَدِ الموَكَّلِ بهِ البَلاءُ الذي لا يَزالُ في تَصَرُّفٍ وتَقلبٍ ولا يَدُومُ لهُ شيءٌ ولا يَلْبَثُ معهُ أمْرٌ كما لا يَدُومُ للطّالعِ عليَ النجُومِ طُلوعٌ ولا لِلآفِلَة منها أُفُولٌ لكنْ لا يزالُ الطّالعُ منها آفِلاً والآفِلُ طالِعاً، وكما تكونُ آلامُ الكلُومِ وانْتِقاضُ الجِرَاحاتِ كذَلِكَ مَنْ قَرِحَتْ كُلُومه بِفَقْدِ إخوانهِ بعدَ اجتماعه بهِمْ.

قالَ الظبيُ والغرابُ للْجُرَذِ: إنّ حذَرَنا وحذَرَكَ وكلامكَ وإنْ كانَ بَلِيغاً فإنهُ لا يُغني عنِ السُّلَحْفاةِ شيئاً، وإنهُ كما يُقالُ: إنما يُخْتَبرُ النّاسُ عنْدَ البَلاءِ وذُو الأمانَةِ عنْدَ الأخْذِ والْعَطاءِ، والأَهْلُ والوَلَدُ عنْدَ الفاقَةِ، والإخوانُ عنْدَ النّوَائِبِ. قال الجُرذُ: أرى منَ الحِيلةِ أنْ تَذْهَبَ أيُّها الظَّبْيُ فتقَعَ بمَنْظَرٍ منَ الْقانص كأنكَ جرِيحٌ ويقَعَ الغرابُ عليْكَ كأنهُ يأكلُ منْكَ وأسْعَى أنا فأكونُ

(١) العقبة: الطريق الصعبة في الجبل.

(٢) لج به: تمادى.

(٣) الجَدَدُ: الأرض المتسوية.

(٤) ويح: كلمة رحمة.

قريباً منَ الْقانصِ مُراقِباً له لعلَّهُ أنْ يَرْميَ ما معَهُ منَ الآلةِ ويَدَعَ السُّلَحْفاةَ ويَقْصِدَكَ طامِعاً فيكَ راجِياً تحْصِيلكَ، فإذا دَنا مِنكَ فَفِرَّ عنهُ رُوَيداً بحيْثُ لا ينقَطِعُ طمَعُه منكَ وأمكِنْهُ[١] منْ أخْذِكَ مرَّةً حتى يَبْعُدَ عنَّا، وآنْحُ منهُ هذا النّحْوَ ما اسْتطَعْتَ فإني أرْجو ألاَّ يَنْصِرفَ إلاْ وقدْ قطَعْتُ الحَبائِلَ عن السُّلَحْفاةِ وأنجُو بها.

ففعَلَ الظبيُ والغرابُ ما أمرَهُما بهِ الجُرَذُ وتبِعَهُما الْقانصُ فاسْتجرَّهُ[٢] الظبيُ حتى أبعدَهُ عنِ الجرَذِ والسُّلَحْفاةُ والجرَذُ مُقْبِلٌ على قَطْعِ الحِبالِ حتى قطَعَها ونجا بالسُّلَحْفاةِ وعادَ القانصُ مجهوداً لاغباً[٣] فوَجدَ حِبالَتَهُ مُقطّعةً؛ ففكّرَ في أمرِهِ مع الظبيِ المُتطلِّعِ فظَنَّ أنهُ خُولِطَ في عقْلِهِ[٤] وفكَّرَ في أمْرِ الظبيِ والغرابِ الذي كان كأنهُ يأكلُ منهُ وتَقْرِيضِ حِبالَتهِ. فاستَوْحَشَ من الأَرْضِ وقال هذِه أرْضُ جِنٍّ أوْ سحَرةٍ. فرَجَعَ مُولّياً لا يَلْتَمِسُ شيئاً ولا يَلْتَفِتُ إليهِ. واجتَمعَ الغرَابُ والظبيُ والجُرَذُ والسُّلَحْفاةِ إلى عَرِيشهِمْ آمنين كأحْسنِ ما كانوا عليهِ.

فإذا كانَ هذا الخَلْقُ مع صِغَرِه وضَعْفِه قدْ قَدَرَ على التّخلُّص من مَرابطِ الهلَكةِ مرَّةً بعد أخْرى بمودَّتهِ وخُلوصِها وثَباتِ قلبِه عليها واسْتمتاعِ بعضِه ببعْضٍ. فالإنسانُ الذي قدْ أعطيَ العقلَ والفهمَ، وألهمَ الخيرَ والشّرَّ، ومُنِح التمييزَ والمعرِفَة أوْلَى وأحْرى بالتواصلِ والتّعاضُدِ.

فهذا مثل إخوانِ الصّفاء وائتلافِهِمْ في الصُّحبةِ.

---

(١) أمكنه: مَكِّنْهُ.
(٢) استجره: استدرجه.
(٣) لاغباً: تعباً.
(٤) أي اختل عقله.